

الشعبوية البائسة.. تجديد ديني على نهج مؤتمرات الشباب



المنتصرين منذ الإسكندر مروراً بعمرو بن العاص وطارق بن زياد وبنابليون وصولاً إلى جورج بوش. وقد استندوا جميعاً إلى حقائق القوة، تحت غطاء أخلاقي.

لم يابه الذين وضعوا قدماً في الأندلس وأخرى في الصين لأحاديث الأحاد، ولم يدرسوا المذهب الأشعري، بلغوا تلك الأقاليم قبل وجود ما سمي لاحقاً بالتراث، وكان البعض منهم يصنع هذا التراث، محكوماً بظرف تاريخي لا يستنكر الإغارة وتخبير مواطنين مسلمين بين اعتناق الدين ودفع الجزية. وبعد ارتقاء الضمير الإنساني جرم قتل الأسرى والاسترقاق وتوزيع السبايا. فكيف يستدعي مثل هذا التراث في مؤتمر للتجديد؟

هتاف "الله"، فرحا بالانتصار على أعداء التراث.

وتخللت كلمة شيخ الأزهر مقاطعات بالتصفيق بين جملة وأخرى، وضحكات وتعليقات استهجاناً للرأي الآخر، حتى اقتضى بعضها من شيخ الأزهر أن يشير إلى صاحب التعليق بالصمت، ويأمره "اجلس"، على طريقة زعماء الأحزاب في المؤتمرات الانتخابية.

لو كان هذا المؤتمر علمياً بالفعل لبحث تاريخية وضع قدم في الأندلس وقدم في الصين، وقارنها بما يمكن أن يفخر به بريطانيا من ماضٍ لم تكن الشمس تغرب فيه الإمبراطورية، وكذلك الفرنسيون في أعماق أفريقيا، والهولنديون في سومطرة. وربما جرؤ أحدهم على مقارنة القادة والساسة

وتقول كمان؟"، ورد "تحيا مصر"، وأهدى الطلاب عطلة بخمسة أيام.

ولكن كلام رئيس جامعة القاهرة، في مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي، أكثر عقلانية من انفعال شيخ الأزهر الذي أكد كثيراً أن مقولة التجديد "موجودة في قلب التراث". هذا التراث الذي نهون من شأنه اليوم، نهون ونهول في تهوينه، حمل مجموعة من القبائل العربية التي كانت متناحرة ولا تعرف يميناً من شمال، في ظرف ثمانين عاماً، إلى أن يضعوا قدمهم في الأندلس وقدمهم الأخرى في الصين، لأنهم وضعوا أيديهم على مواطن القوة في هذا التراث". وأضاف أن "مقولة التجديد مقولة تراثية، وليست مقولة حداثة"، وهنا تعالَى التصفيق مع

إلى دستور ينص على محاسبة رئيس الدولة، بحبل عبدالفتاح السيسي تقويم أدائه إلى العدالة في الآخرة، وأن الله وحده من يحاسبه". ويتأكد هذا الخطاب السياسي في مؤتمرات يحشد لها الآلاف من المدعوين من شباب العالم، لكي يفسر لهم الماء بعد الجهد بالماء، ونقول لهم إن الإرهاب أسود. يختلف المؤتمر العلمي عن خطاب شعبي يؤكد عجز اللغة العربية عن احتمال النقاش. ولن يبقى من هذا "المؤتمر" إلا سجل بين رئيس جامعة القاهرة محمد عثمان الخشت وشيخ الأزهر أحمد الطيب. كلاهما مرتبط بالسلطة. وليس الأول رمزاً للتجديد. والثاني لا يُلخص الإسلام وليس حارساً على التراث، وقال في برنامج تلفزيوني إن الحزب الوطني (حزب حسني مبارك) والأزهر كالليل والنهار، كالشمس والقمر لا يمكن الاستغناء عن أي منهما. ولم يفكر في الاستقالة من الحزب الوطني حفاظاً على هيبته مقام شيخ الأزهر.

ورئيس جامعة القاهرة فيسهل الاستدلال على التباس الفكر والسياسة في أدائه، ففي كتابه "أقنعة ديكرات العقلانية تتساقط" يحاول إثبات لاهوتية فلسفة ديكرات، وأنه "كان يؤكد دوماً بإصرار أنه ما من حقيقة فلسفية في مذهبه يمكن أن تكون متنافية مع حقيقة العقائد المسيحية المنزلة".

وفي أبريل 2019 وقف على مسرح مكشوف في ساحة الجامعة، وهتف "مَن يحب مصر؟"، وجاءته إجابات، فرد عليها "مَن سامع". الرجل الذي يجلس مكان أحمد لطفي السيد قدم إلى الطلاب رشوة؛ لإغرائهم بالتصويت بالموافقة على تعديل الدستور، فأغفاهم من مصاريق الإقامة بالمدينة الجامعية شهراً، وأغفى الذين لم يسدوا مصاريق عام 2019 من دفعها. وأعلن عن منح 5 بالمائة من درجات التخرج لكل طالب ينضم إلى "الخمسية" في المئة على جامعة القاهرة". وتساعل

باستخدام مفردات تهيج مشاعر الجماهير من مشاهدي التلفزيون، ومعهم حضور أغلبه من الأزهرين يبيع ضمائرهم قول شيخ الأزهر "الحداثيون حين يصعدوننا بهذا الكلام مزايون على التراث، ومزايون على قضية الأمة المعاصرة". ولا أتصور أن ترد كلمة منبرية مثل "يصعدون" في بحث أو مؤتمر علمي.

هذا المؤتمر من ثمار شعبية بائسة انتقلت عدواها من الأداء السياسي إلى الفكر الديني. وأرجح أن ضغوطاً مورست لانعقاد، ولا أريد العودة إلى ما ذكرته في مقال "ابتدال المعنى في قضية تجديد الخطاب الديني"، في صحيفة "العرب" في 12 من مايو 2015، ويحمل شكوكاً في جدوى شعار أطلقه بامر رئاسي في بداية عام 2015؛ لأن الذين وجهت إليهم الدعوة إلى التجديد هم الأكثر حرصاً على التقليد وحماية التراث.

لم يأبه الذين وضعوا قدماً في الأندلس وأخرى في الصين لأحاديث الأحاد، ولم يدرسوا المذهب الأشعري. بلغوا تلك الأقاليم قبل وجود ما سمي لاحقاً بالتراث وكان بعضهم يصنع هذا التراث

ولا يمكن الرهان على أمال في تجديد الفكر الديني في للال خطاب سياسي أحادي سلفي. وسبق أن قلت في مقال "معضلة الخمر في دولة شبه دينية شبه مدنية" إن من يتأمل الخطاب الرئاسي يظن صاحبه "الكاوثش" صرفاً إماراً إسلامية، "فبدلاً من الاحتكام



أسوأ بداية لعام 2020 ألا ينجح «مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي» إلا في الإلهاء العمومي بامتياز، وبصرف انظار المصريين عن أخطر تحول في مسار ومصير القضية الفلسطينية، منذ وعد بلفور عام 1917 وهزيمة يونيو 1967 وزيارة أنور السادات للقدس عام 1977. فبعد إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، في مؤتمر صحافي بالبيت الأبيض وإلى جواره رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، تعهد بلاده بان تظل القدس عاصمة «غير مقسمة» لإسرائيل، شهدت القاهرة مباراة شعبية نقلها التلفزيون مباشرة، حول قضية علمية يفترض أن تكون ذات طابع بحثي يتسم بجد أدنى من الرصانة، بعيداً عن حشود التصفيق والهتاف. ولكن شيخ الأزهر حسم الأمر بالدعوة إلى عدم المساس بالتراث.

عنوان المؤتمر محدد بتجديد الفكر، والفكر بالضرورة بشري خلافي وتفاعلي وتراكمي ونسبي، ويرتبط بسياقه التاريخي وحظوظ أصحابه من الوعي. ولا علاقة لهذا المؤتمر بالعقيدة وثوابت الدين وأركانه وشعائره.

لكن الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر فجر ببساطة فكرة المؤتمر قائلاً "ابحثوا عن مشكلة غير التراث.. حرب التراث وحرب الحداثة شيء مصنوع صنعاً.. الحرب الحقيقية أن جامعاتنا في أكثر من قرن من الزمان.. ومراكز البحث العلمي حتى الآن مش قادين تصنع كاوثش سياراً".

ولعله يتحمل جانباً من المسؤولية؛ بحكم رئاسته لجامعة الأزهر لسبع سنوات، فما ثمره الإنفاق على طلاب كليتي الهندسة والعلوم بالأزهر؛ وفي استدعاء البكاء على "الكاوثش" صرفاً درامياً ذكياً للانتظار عن طبيعة المؤتمر،

دولة من غير شعب. شعب من غير دولة



عبر أكثر من ثلاثة أشهر من القتل بصور عارية من غير أن يسمعو أن هناك جهة تتعاطف معهم وتدافع عنهم وتسعى إلى توفير الحماية لهم. في موازاة حراكهم السلمي كان هناك صراع بين إيران والولايات المتحدة يعبر عن رغبة الطرفين في أن تكون له اليد العليا في البلد. مظهرها يبدو ذلك الصراع كما لو أنه لا علاقة له بالصراع الداخلي. غير أن ذلك ليس صحيحاً. فلو أن الولايات المتحدة تخلت فعلياً عن وجودها العسكري في العراق فإن ذلك معناه أنها سلمت البلد نهائياً لإيران. وهو ما كان يمكن أن يحدث لو أن سياسة الرئيس أوباما الكارثية إزاء العراق استمرت بعد مغادرته.

غير أن عيب السياسة الأميركية إزاء العراق يمكن تلخيصه بضمائرية الموقف،

الأمنية وسفاراتها وهو ما يضيف على وجودها شرعية ليست قابلة للنقض من وجهة نظرها.

المحتجون لا ينتظرون من الأحزاب أن تتخلى عن السلطة. بل إنهم ينظرون بياس إلى ما يمكن أن تتقدم به تلك الأحزاب من حلول لأزمة قد تؤدي إلى سقوط سلطتها وانقضاء امتيازاتها في أي لحظة يتبدل فيها المزاج العالمي. الطرفان يتصارعان غير أنهما يدركان أن أحداً منهما لن يهزم الآخر. الأحزاب الموالية لإيران تتهم المحتجين بالتبعية للسفارات. السفارة الأميركية بالتحديد هي المقصودة. قد لا يصدق الكثيرون أن المحتجين يمتنون لو أن السفارة الأميركية التفتت فعلاً إليهم. فهم في حاجة إلى من يتعاطف معهم عالمياً. وهم في حاجة إلى أي نوع من الحماية، بغض النظر عن مصدرها.

فاروق يوسف كاتب عراقي

ليست الأزمة العراقية في طريقها إلى الحل. إنها في حالة انسداد كلي. فهي ليست قضية محلية طرفاً شعباً غاضباً وأحزاباً مقتصبة للسلطة فحسب، بل هي أيضاً قضية تتشابك وتتقاطع فيها مصالح دولتين، الواحدة أسوأ من الأخرى بالنسبة إلى العراقيين، هما الولايات المتحدة وإيران.

ما من أحد يحاور أحداً في العراق فالسلطة التي تقيم في المنطقة الخضراء تديرها أحزاب مغلقة على نفسها وهي غير مستعدة لتفهم مطالب المحتجين في جانب الرصافة أو التعامل معها إيجابياً. لدى تلك الأحزاب حكومتها ومجلس نوابها وجيشها وأجهزتها

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

حذام خريف

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة اليعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

موفقاً مشجعاً وداعماً للحراك الشعبي المناوئ لهيمنة الإيرانية والداعي إلى إنهاء نظام الميليشيات الإيرانية.

ولأن العراق هو المركز في الصراع الإيراني - الأميركي فقد داب الطرفان على القيام باستعراضات، توجي بانها قد تكون تهمة لحدود الحرب ضرورية سيكون العراق ساحتها.

وليس من المستبعد أن الطرفين إنما يقومان بتلك الاستعراضات رغبة منهما في ممارسة الضغط، وهما لا يضمنان نية الحرب في كل الأحوال. وهو ما قد يؤدي إلى إبقاء الوضع في العراق على ما هو عليه إلى زمن غير معلوم. فالطرفان يمكنان من الوقت ما لا يمكنه الشعب العراقي.

وهنا بالضبط تقع العقدة العراقية المستعصبة على الحل. فما لم تحسم الولايات المتحدة موقفها فإن المشهد العراقي سيظل منقسماً. دولة من غير شعب وشعب من غير دولة. وهو ما يعني أن الأحزاب ستظل تتمتع بهيمنتها على ثروة العراق التي سيبقى الشعب محروماً منها. وهو ما يمكن أن يقود إلى المزيد من الانهيارات الأمنية. فالتصعيد غير المسبوق الذي قام به المحتجون قبل أيام حين أغلقوا الطرق الرئيسية في المدن العراقية وبالخاص في العاصمة بغداد، يمكن أن يتكرر في أي لحظة. وهو رد فعل طبيعي في مواجهة الاستبعاد المتعمد لإمكانية الاتفاق على حل يقيم نوعاً من الاعتبار والاحترام للشعب العراقي.

وإذا ما كانت سفارات عدد من الدول في بغداد ومنها سفارة الولايات المتحدة قد أصدرت بياناً نددت فيه بالاستعمال المفرط للقوة في قمع المحتجين فإن ذلك الموقف لا يرقى إلى مستوى التضامن. هو نوع من رفع العتب ليس إلا.

واقعياً فإن الولايات المتحدة التي صارت تغض النظر عن الصواريخ التي تضرب سفارتها لا تزال تنظر بشيء من الريبة إلى الحراك الشعبي العراقي الذي لم تسع إلى اختراقه خشية إفشاله. علاقة غامضة إن تمكنت الولايات المتحدة من التعرف على أسرارها فإنها ستكون قادرة على هزيمة إيران في العراق. في انتظار ذلك سيكون على الشعب العراقي أن يدفع ثمن الغباء البيروقراطي الأميركي.

